مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 06 العدد 04 (32) 2026/06/30
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

Tha'alibi's Approach In Explaining the Poem 'The Title of Wisdom' by Al-Busti

Ali Kadhim Ali Al-Madani[1]
Al-Qadisiyah University / College of Education
ali.kadhem@qu.edu.iq
MOKHALAD MOHAMMED KADHIM[2]
Department of Medical Rehabilitation Techniques and Physical Therapy,
Al-Furat Al-Awsat University / Iraq
mukhalad.kadhem.idi17@atu.edu.iq

Received:17/05/2026 Accepted : 26/06/2026

Abstract:

This research addresses Al-Tha'alibi's methodology in explaining the poem of Abu al-Fath al-Busti, and he had three structured tools or mechanisms: abridgment, abstraction, and transformation, to turn the poetic verse into a proverb. We have previously discussed the concept of explanation and its function in ancient Arab heritage, as well as the mechanisms of commentators. This poem receives special attention from Shafi'i scholars because its author was Shafi'i in doctrine, and it organized the essence of his life experience and accumulated knowledge over the years.

The poem titled 'Al-Hikam' is the most famous long poem by Abu al-Fath al-Busti. It is a 'nuniyya' poem composed in the simple meter and includes a diverse collection of literature, wisdom, and advice. It attracted the interest of literary scholars, who transmitted, named, critiqued, and explained it.

The first to transmit it was Al-Tha'alibi in his book 'Nathr al-Nazm wa Hall al-'Uqd', placing it under the title 'A Chapter on Proverbs'. The first to name it was Ibn al-Salah, who said: 'He also has the nuniyya poem on proverbs called 'Title of Wisdom''. Taj al-Din al-Subki followed suit, saying: 'These two verses are from a good word by Abu al-Fath, called 'Title of Wisdom''. The poem's names and descriptions varied among commentators, being called 'The Busti Poem' after its author, as well as 'The Eloquent Poem'.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

Keywords: Al-Tha'alibi's approach, the poem of Abu al-Fath al-Busti, the concept of commentary, resolving difficulties, commentaries on al-Busti's poem, the title of wisdom.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 06 العدد 04 (32) 2026/06/30
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

منهج الثعالبي في شرح قصيدة عنوان الحكم للبستي

أ. د. علي كاظم علي المدني [1]
جامعة القادسية / كلية التربية
ali.kadhem@qu.edu.iq
م.م مخلد محمد كاظم ورد[2]
قسم تقنيات التأهيل الطبي والعلاج الطبيعي جامعة الفرات الأوسط / العراق
mukhalad.kadhem.idi17@atu.edu.iq

ملخص:

يتناول هذا البحث منهجية الثعالبي في شرح قصيدة أبي الفتح البستي ، وكانت له ثلاث أدوات منهجة أو آليات هي : الاختزال ، والتجريد ، والتحويل . ليتحول البيت الشعري إلى مثل سائر . وقد تناولنا قبل ذلك مفهوم الشرح ووظيفته في التراث العربي القديم ، وآليات الشراح . وتحظى هذه القصيدة بعناية خاصة لدى علماء الشافعية ، لأن ناظمها شافعي المذهب ، وأنها نظمت عصارة تجربته الحياتية ، وخبرته المتراكمة عبر السنين .

قصيدة عنوان الحكم ؛ هي أشهر قصيدة مطولة قالها أبو الفتح البستي ، وهي نونية نظمت على البحر البسيط ، اشتملت على جملة متنوعة من الآداب والحكم والنصائح ، وقد اهتم بها الأدباء فرووها وأسموها وعارضوها وشرحوها .

وأول من رواها الثعالبي في كتابه " نثر النظم وحل العقد " ، ووضعها تحت عنوان " باب في الأمثال ". وأول من سماها ابن الصلاح فقال : ((وله القصيدة النونية في الأمثال سميت عنوان الحكمة)) (ابن الصلاح : 1413 هـ: 2 : 647) وتابعه كذلك تاج الدين السبكي فقال : ((وهذان البيتان من كلمة طيبة لأبي الفتح ، تسمى عنوان الحكم)) (5 : 294) وقد تعددت تسمياتها وأوصافها مع الشراح فكانت " القصيدة البستية " نسبة إلى ناظمها ، وكذا " القصيدة البليغة " وكذلك سمية " عنوان الحلم (فؤاد سزكين : 1991 : ج 4 : 156) وربما جاءت هذه التسمية بأن المتخلق بما فيها قد اتصف بالحلم لا محالة .

كلمات مفتاحية : منهج الثعالبي ، قصيدة أبي الفتح البستي ، مفهوم الشرح ، حل العقد ، شروح قصيدة البستي ، عنوان الحكم .

أولا : مفهوم الشرح ووظيفته :

ظاهرة شرح الشعر العربي القديم امتدت على طول التراث نفسه ، فقد أخذت أبعاداً كثيرة في العصر العباسي ، وفيه أخذت ظاهرة الشروح اتجاهيين عامين اثنين : الأول ؛ شروح الدواوين الكاملة أو المنتخبات الشعرية . والآخر : شرح القصائد مفردة ، وعلى الرغم من التشابه الكبير بين الاتجاهين ، لكن يظل هناك فرق جوهري من حيث الرؤية والمنهج والغاية ، فالرؤية في شروح الدواوين كانت تنطلق من محاولة إيجاد أنموذج يحتذى ، ومعيارا ينظم على منواله الشعراء المحدثون ، فكان الرعيل الأول من الشراح ومن سار على منهجهم يتطلعون إلى شرح دواوين الشعراء الجاهليين مثل ابن السكيت (244هـ) والسكري (275 هـ) وأبي العباس ثعلب (291هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (209هـ) والنحاس (338هـ) شرح الأعلم الشمنتري (476هـ) ، وكل هؤلاء العلماء قد اختصوا بشرح الشعر القديم دون سواه ، وهذا الشق الأول من الرؤية يمثل حث الشعراء على متابعة عمود الشعر هي النظرية التي استوعبت الإنتاج الإبداعي الجديد ، ووجهته توجيها نقديا ليرفد الطريقة العربية في النظم .

وأما الشق الثاني من الرؤية في شرح الدواوين للشعراء المحدثين فيمثل مباراة ومساماة للشق الأول ، ومحاولة إثبات هواية الشاعر الجديدة ، وجاء هذا ليعضد مدرسة الصنعة وإرساء قواعدها ، والاستحصال على شرعيتها المشكوك فيها ، فهي رؤية خارجة على عمود الشعر. علاوة على أن الشعر المشروح ضمن هذا الشق حاول طرح نماذج تستهوي الشاعر الجديد ، وتربي جيلا متذوقاً لهذا الجديد ومتلقياً جديداً ، فلما سئل أبو تمام : لماذا تقول ما لا يفهم ؟ فقال : لماذا لا تفهمون ما يقال ، فهذا يعني أن الرؤية كانت تسعى إلى إثبات هوية شعر وشاعر ، تجر في طياتها متلقياً أكثر وعيا ، فكانت الشروح تقدم ضمن هذا الهدف . وكل ما كان يحصل في مدرسة الطبع من مؤثرات فبشكل أو بآخر تتأثر به مدرسة الصنعة .

من أولئك العلماء الشراح الصولي (336هـ) وابن جني (392 هـ) والمعري (449 هـ) والواحدي (468 هـ) والمرزوقي (421 هـ) والتبريزي (502 هـ) وابن السيد البطليوسي (521 هـ) والانباري (577هـ) والخوازمي (617 هـ) وغيرهم ، وهؤلاء العلماء يشرحون الشعر القديم والمحدث ، ولا يجدون مشاحة في الشرح الجديد كلا المدرستين تقفان على خط واحد .

وهذان الشقان اللذان يكونان الرؤية النقدية التي تتحرك فيها مسارات الحركة الإبداعية والنقدية ، سارا بشكل متوازٍ ، بعبارة أخرى سايرت مدرسة الطبع أختها مدرسة الصنعة مسايرة محاذية ، فيقول الدكتور حسن البنداري ((لا يكاد يخلو مصدر أدبي من صيغتي (طبع) و (صنعة) اللتين وظفتا في صوغ الحكم النقدي على النص الشعرى)) (حسن البنداري : 21)

ويرى أستاذنا الدكتور مزاحم مطر أن الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ، يقف في مقدمة الأسباب التي أدت إلى نشوء ظاهرة الشروح ، سواء أكان الصراع حول رؤية نقدية عامة ، أم صراعا على تقييم حالة شعرية فردية . فالصراع الذي دار حول أبي تمام ، وكذا حول المتنبي ، قد دفع عجلة الشروح إثراءً وإغناءً (مزاحم مطر حسين : 2010 . 14).

وتؤكد أستاذتنا الدكتورة شيماء خيري ما ذهبنا إليه فالصراع بين القديم والجديد ((هو من الدواعي التي دفعت حركة الشروح ، ووسعتها ، للصراع بين الفريقين فأنصار القديم يروجون لأشعارهم ، من خلال شرحها وإظهار محاسنها ، وعناصر القوة فيها ، من أجل تقريبها للأذهان وكذلك أنصار الجديد لأن (إعجاب القدماء أنفسهم بالشعر ينبغي أن يكون باعثاً على معاودة الفهم لقد أعجبوا بشعر كثير عجزوا عن تفسيره وجاء المحدثون فنقضوا أذواق القدماء واستقبحوا كثيراً مما أعجب المتقدمين) ، وقد ولد ذلك صراعاً بين الفريقين تولدت عنه شروح الشعر ومفاهيمه النقدية)) هذا يعني أن هناك صراعا رؤيويا حول حركة الإبداع الجديدة ، واستيعابها نقديا ، وتقنينها ، كما يعني أن هناك شرخاً في التراث الأدبي العربي القديم مؤثراً في توجيه وظيفة النقد وأبستمولوجية ماهية النقد أيضا .

((إن الصراع بين القديم والمحدث قام على قضية فنية أساسية هي اللغة والعلاقات اللغوية والمجازية ، وقد كان لها فضل في خلق الدراسات حول الشعر القديم والمحدث إذ كان لهذه الدراسات أثرها في خلق الشروح الشعرية فأنصار الشعر القديم لا بد لهم من الوقوف على لغة الشعر التي أصبحت مهمة على متلقيها من أجل كشفها وتوضيحها له. أما أنصار الشعر المحدث فقاموا بشرح وتوضيح لغة الشعر المحدث التي تميزت وفارقت لغة الشعر القديم))(شيماء خيري: 2010 : 89)

فقضية الصراع بين القديم والمحدث أثارت جدلاً بين الدارسين القدماء كان له آثار طيبة في شرح الشعر القديم (شيماء خيري: 2010 : 89)فصارت كل مدرسة ترفع شعراءها ليمهدوا الطريقة ويسهلوه للشاعر الجديد، وهذه هي الرؤية التي كانت من وراء عموم الشروح .

ومن هنا انبثقت ظاهرة شروح القصائد المفردة ، لتصب وترفد بمصاديقها الجزئية غاية كلية ومفهوما شامل ورؤية متطلعة . ومن خلال الرؤية العامة صيغت الوظيفة لشرح القصيدة الواحدة ـ كما سنرى لاحقا ـ ولذلك ظهر هذا الاتجاه في العصر العباسي يعتني بقصيدة واحدة لشاعر ما ، يرى فيها الشارح أنموذجا جديرا بالعناية والاهتمام .

علاوة على ما تقدم فإن شرح قصيدة ما ، يجعلها تشتهر ، وتسير في الآفاق ، وهذا أدى بدوره إلى خلق ذائقة أدبية وجمالية عند المتلقي ، مما يسهم في صناعة جو ثقافي ولغوي وجمالي واحد بين المبدع والمتلقي ، فإن أزمة التلقي التي عبر عنها السائل لأبي تمام ، هي مسألة عامة لا تخص هذا السائل وحده ، فهذه الشروح لقصائد مفردة بعينها تقدم نفسها أنموذجا راقياً للاستهلاك الثقافي .

وعلى الرغم من إن بداية هذه الشروح ظهرت في العصر العباسي إلا أنها اتسعت بمرور الوقت ، وتضخمت في العصور المتأخرة ، ومع رشاقة الشروح في بدايتها وتضخمها بفترات أخرى ، أخذت الأبعاد الوظيفية والغائية تعدد .

وهذا الاتجاه غلب عليه الطابع التعليمي والديني فقد شرحت قصيدة بانت سعاد ، لأنها مدح في الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وكذلك قصيدة البردة والقصيدة الزينبية ، وأما قصيدة ابن دريد ، وقصيدة عنوان الحكم ، ولامية العرب والعجم ، فيغلب عليها الطابع التعليمي ، كأن يكون الشارح لغوياً أو يتخذ الشارح من القصيدة درسا تطبيقيا في اللغة والنحو .

وعلى الرغم من أن دلالة الشرح في المعاجم تلتقي مع دلالات التفسير ، إلا أن هناك دقة في استعمال العلماء القدماء اللفظين ، فقد أطلقوا التفسير على المجال المعرفي الذي يخص القرآن ، وأما الشرح فهذه اللفظة تذهب باتجاه الشعر .

والشرح مفهوم فضفاض واسع ، ((مفهوم يتراوح بين الاتساع تارة حتى يشمل ذكر علوم مختلفة ، والتضييق تارة أخرى حتى يكاد يقتصر على إيضاح المعنى المستغلق)) (مزاحم مطر, 2010 , 10)

((فابن جني يمتد عنده مفهوم الشرح من صناعة الديوان إلى إيضاح المعاني ومسائل الإعراب وذكر الشواهد على غريب اللفظ وينتهي بالتلخيص والنقد)) (مزاحم مطر, 2010 , 10)

فيقول ابن جني : ((سألت أدام الله تسديدك، وأحسن من كل عارفة من يدك، أن أصنع لك شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، بغر معانيه وإيراد الأشباه فيه، وإيضاح عويص إعرابه، وإقامة الشواهد على غريبه، فرأيت إجابتك لذلك..))(لابن جني (392هـ): 1978: 1 : 20)

ويقول أيضا : ((وأذكر ما كان شجر بيني وبينه من المباحثة وقت قراءتي ديوانه عليه إلى سوى ذلك مما أحضره من تلخيص وإيضاح وشاهد ونظير، يكونان سبباً للإفصاح وأذم شارد لفظه وأميز ما يداخل قوة الصنعة من نقص في بعضه ، واشرح جميع ما يتلبس من شعره)).(لابن جني (392هـ): 1978: 1 : 32–33)

وربما يقتصر الشرح على بسط المعنى ، وبيان المقصد ، وإزالة الغموض ، بدون تطويل أو إفلات لزمام المعنى على حساب مسائل لغوية أخرى . فيقول الواحدي عن شرح ديوان المتنبي : ((ومع شغف الناس واجماع اكثر أهل البلدان على تعلم هذا الديوان ، لم يقع له شرح شافٍ يفتح الغَلَق ويسيغ الشَرَق ، ولا بيان عن معانيه كاشف الأستار حتى يوضحها للأسماع والأبصار ، فتصديت بما رزقني الله تعالى من العلم ، ويسَّره لي من الفهم ، لإفادة من قصَدَ تعلّم هذا الديوان وأراد الوقوف على مُودَعِه من المعاني بتصنيف كتاب يسلم من التطويل ، وذكر ما يُستغنى عنه من الكثير بالقليل)) (ياسين الأيوبي ، قصي الحسين : 1999 ؛ 1 : 79 ـ 80)

ويمتد مفهوم الشرح عند الأعلم (٤٧٦هـ) ليشمل بيان الغريب وإيضاح المعنى وكشف غامض الإعراب من غير إطالة تمل السامع أو القارئ إذ يقول، في مقدمة شرحه لديوان علقمة: ((وشرحت جميع ذلك شرحاً يقتضي تفسير جميع غريبه، وتبيين معانيه، وما غمض من إعرابه ولم أطل في ذلك إطالة تخل بالفائدة، وتمل الطالب الملتمس للحقيقة... وقد فسرت جميع ما ضمنته هذا الكتاب تفسيراً لا يسع الطالب جهله، ويتبين للناظر المنصف فضله))(ديون علقمة الفحل , 1970 : 26 ـ 27)

ويتسع مفهوم الشرح عند بعضهم ليشمل فروع اللغة، والتاريخ والفقه والتفسير والحديث فضلاً عن الأنواء ورموز الحكمة اذ يقول: فشرحت فيه من مفردات اللغة والأبنية والاشتقاق، ومسائل الإعراب والتصريف، وأوردت من التراكيب المستعملة في كلامهم، ومحاسن علمي المعاني والبيان، وألقاب العروض والقوافي، ونتف التواريخ والحكايات وانساب العرب والانواء، والرموز الحكمية وشيء من فقه ، وأحاديث النبي، وفوائد التفسير، ما عسى أن يشكل عليهم ولم يلق حل معقوده اليهم .

ومع هذا الاتساع والتضييق في مفهوم الشرح يبدو ان ثمة نقطة جوهرية يلتقي عندها الشراح جميعاً وهي الكشف عن المعنى الذي اراده الشاعر، غير ان هذا الكشف قد يقتضي الخوض بمسائل اللغة وإمتداداتها وقد يتجاوز ذلك إلى البحث في علوم اخرى لها اهمية في كشف ذلك المعنى باعتقاد الشارح(مزاحم مطر , 2010م : 11)

والشرح هو محاذاة النص محاذاةً مزيلة لصعوباته ، كاشفة عن معناه ، فالشرح تبسيط للمشروح ، دون زيادة أو نقصان مخلين ، فالشرح هو الوقوف على المعنى . ومن آليات الشرح الترتيب والتعليق والتحليل والوصف والمقارنة والنقد ، فكلها من اليات الشرح ، فالشارح الماهر من عرف مقدار ما يأخذ منها ، ويجعلها في خدمة المشروح ، ويقتضي تشرّب الشارح للنص ، فيحف جوانب المعنى بالبيان دون أن يفقد النص شيئا من بلاغته ودقته معناه ، وصورته الشعرية ، وعمقه الدلالي ، فيفتح مغاليقه مع حفاظه على روح النص وما يبثه من وحدة مشاعر . فيكون المشروح إعادة أفكار النص بأسلوب مغاير .

ثانياً : الآليات التي يستخدمها الشراح :

هناك تقنيات حصل تواطؤ الشراح عليها شعراً ونثراً ، قديماً وحديثاً ، فيمارس عملية الشعر من خلالها كي يستوعب المتن المشروح ، وهي أشبه بالضوابط التي لا بد من السير عليها ، وإلا يصيب عملية الشرح اضطرابا وينعدم الاتساق ، وتستغلق بعض نكات المتن . ومن خلال مراجعتنا للشروح تبين لنا عدة آليات ((الترتيب ، التوضيح ، التعقيب ، والنقد ، الاستشهاد)) .

الترتيب :

لا بد للشارح من الالتزام بالترتيب وفق معيار ما ، يجده مناسبا لطبيعة المشروح ، سواء أكان الشرح شعرا أم نثرا . ولذا نجد شراح الدواوين يلتزمون منهجا في ترتيب القصائد إما حسب الغرض الشعري أو حسب الترتيب الهجائي لحرف الروي ، وكذا شرح القصيدة الواحدة يولون العناية لترتيب الأبيات تقديما وتأخيرا ، ويرجحون رواية على أخرى ، إذ عدم الالتزام بالترتيب المناسب يؤدي إلى تشظي الوحدة العضوية في القصيدة ، علاوة على تشضية جو النص وإيحاءاته ، وكل اختلال في الترتيب ينعكس سلبا على المتلقي حيث يجد القارئ تبدلا في الشعور سريعا من حال إلى حال مما يربك الجو النفسي للمتلقي . فالقصيدة تنمو شيئا فشيئا ، نموا تدريجيا ، وتبعا لهذا يتابع القارئ المعنى ويتأثر به .

والترتيب الذي ينبغي مراعاته أيضا هو خطوات الشرح ، فيكون هناك تسلسل في طريقة الشرح بداية من شرح الألفاظ الصعبة والغريبة ، ثم يتابع فقرات الشرح شيئا فشيئا ، إلى نهاية الشرح ، فلا بد من الالتزام بتسلسل معين يراه مناسبا .

التوضيح :

وهو الكشف عن المعنى دون إخلال ، وهذه هي الغاية التي يصبو إليها الشارح ، فكل ما يقدمه الشارح من بيان دلالات الألفاظ ، وخصوصية الصيغة الصرفية ، وبيان الموقع الإعرابي لا سيما المشكل منها ، كل ذلك يأتي خدمة لبيان المعنى ، لأن المعنى الشعري له خصوصيته الشعرية ، فلا بد من الدقة في أداء المعنى المقصود ، دون توسيع أو تضييق بل كما أراد الشاعر . والسياق هو المعيار الأهم في تحديد المعنى المراد .

التعقيب :

لا غنى لشارح من التعقيب على المتن إذ أن الشارح له أن يحف النص بما يتصل به ولو على نحو الإثقال ، ذلك لأن التعقيب في الشعر ضرورة ، فمناسبة القصيدة ، أو في أي شخص كتبت ، وخبرها ، وأهم ما قيل عنها ، كل ذلك يدخل في الشرح بوصفه يجلي عن النص غموضا خارجيا يشرح ولادة النص .

للشارح أن يقف على مسألة لغوية وبين فيها رأيه أو رأي علماء النحو . فغالبا ما يتوسع الشارح في الشرح فيتطرق إلى رأي فلسفي أو عادة مجتمعية سائدة ، أو اعتقاد ساد لدى جيل ، أو حدث تاريخي يجلي النص ويكشف غوامضه ، أو مناسبة القول والداعي له ، أو يتطرق إلى معنى مشابه قد سبقه شاعر إليه ، أو سرقة أدبية ، أو بيان موضوع القصيدة ووزنها وقافيتها ، وعلى الشارح في مثل هذا الحال أن لا يتوسع أكثر مما ينبغي ، لأن في زيادة التوسيع والإفراط فيه يؤثر في جو القصيدة ، ويشتت وحدة الشعور لدى القارئ ، ويبعد القارئ عن النص . .

النقد :

ربما يصدر الشارح بعض الأحكام النقدية مدحا وقدحا ، تقييما وتعديلا ، تفضيلا وتصويبا وترجيحا ومقارنة ، ويعلل حكمه النقدي ، وهذا ما يجعل شرحا يقدم على آخر ، فآلية النقد لا يمارسها إلا

الشارح الخبير الفذ ، أو من جمع بين المهارتين ؛ لأنها تصعب على بعض الشراح . يعلق البطليوسي على بيت المعري نقدا : (من البسيط) .

نَكّستِ قُرْطَيْكِ تَعذيباً وما سَحَرا أخِلْتِ قُرْطَيْكِ هاروتاً وماروتا

فيقول : ((وهو ينظر إلى قول أبي الطيب وإن لم يكن مثله)) . شروح سقط الزند : 4 :1621 ـ 1622 قال المتنبي : (من الطويل) .

وَأَصبَحَ شِعري مِنهُما في مَكانِهِ وفي عُنُقِ الحسناءِ يستحسنُ العِقدُ

فقد كشف الشارح عن أخذ أبي العلاء من المتنبي ، وقارن بينهما ، وأطلق حكما نقديا ، بأن المتنبي فاق المعري في إصابة المعنى والأسلوب ، وعلى الرغم من أن الشارح لم يبرر لكنه بمنزلة من علل تقديم المتنبي ، ولعله راجع إلى أن المعري قد أبعد في التشبيه ، فخفي المعنى الذي يريد ، والمتنبي أصاب المعنى بأسلوب أسهل وأقرب . وكذلك تحت قول المعري شروح سقط الزند : 4 :1621 ـ (من الوافر) .

وقد ذابَتْ بِنارِ الحِقْدِ مِنْهَا شَكَائِمُها فَمَازَجَتِ الرُّوَالا

يعلق السيد البطليوسي قائلا : ((وإنما قال ذلك لأن تقليبها للشكائم في أفواهها وعضها عليها يكثر اللعاب في أفواهها ، فجعل ذلك كأنه شيء يتحلل من حجمها في أفواهها، وإن لم يكن كذلك . ولا أحفظ هذا لغيره)) شروح سقط الزند : 1 : 49 ـ وكلمته الأخيرة جاءت تقيم البيت الشعري ومعناه فهو معنى بكر لم يقله من سبقه ، وهي كلمة لها وزنها في التجربة الشعرية ، فقد شكت الشعراء من قلة المعاني ، وأنهم مسبوقون بكل معنى مقصود ، وتزداد قيمة هذا الحكم عندما تتكرر من الشارح . وقد يقارن الشارح بين معنى واحد لشاعرين ، فيرى ابن السيد بأن المعري أخذ من قول المتنبي (المتنبي: 1355 هـ . 139 .) : (الوافر) .

أعَزْمي طالَ هذا اللّيلُ فانْظُرْ أمِنْكَ الصّبْحُ يَفْرَقُ أنْ يَؤوبَا

فقال المعري (شروح سقط الزند : 1 : 69) (من الوافر)

يبيت مسهدا والليل يدعو بضوء الصبح خالقه ابتهالا

((وهذا معنى ظريف ولده من قول أبي الطيب ، وأبو الطيب أول من أثار هذا المعنى ، فأخذه أبو العلاء وخالف به ما ذهب إليه أبو الطيب ؛ لأن أبا الطيب ذكر أنه بات عازماً على أمر ينويه، وحدث يريد أن يوقعه بأعاديه ، فكأن الصبح يخاف من عزيمته ، ويتوقع أن يناله شر من طويته، فلذلك يتأخر عن الإقبال على عادته . وذكر أبو العلاء أن الليل يخاف أن يناله شر من عزيمة الممدوح التي يسهر من أجلها ، فهو يتمنى أن يجيء الصباح ليتخلص من شرها)) المصدر نفسه : 1 : 69 : 125 ، 117 ، 100 ـ 101 ، 82 ، 74 .).

فنفهم مما سبق بأن الشرح ليس مجرد تسهيل معنى الألفاظ ، وتقديم المعنى بأسلوب آخر يخلو من تعقيد نظم الشعر ، بل عمل له خصوصيته من حيث الكشف عن تقنيات خصوصية المشروح ، فالشارح يعمل على ملامسة خفايا النص ، فيأخذ بيد القارئ إلى مواطن لا يكشفها إلا بصحبة الشارح ولولاه لما كشفها بنفسه ، فيقف على دلالة كلمة يعود لأصلها ، أو يعربها لالتباسها ، ثم يشرع ببيان النكت المتصلة بالنص بسبب بعيد أو قريب . وهل يمكن القول بعد هذا كله بأن الشارح لا بد أن يكون ناقداً ؟ يسلم الجميع بالنفي ، ولكن بينهما عموماً وخصوصاً من جهة أنهما يملكان القدرة على تمييز الجيد والرديء ، كما أن الشرح أخص ، والنقد أعم .

الاستشهاد :

اعتاد الشراح على الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي ونثره ، ليدل على صحة معنى كلمة أو إعرابها قياسا ، أو ليكشف عن دلالتها ومضمونها ، تصريفها واشتقاقها ، أو قياسها ، وهذه الفقرة لا بد منها .

وأحيانا كثيرة يستشهد لا بقصد تعضيد مسألة لغوية ، بل ليقف على تاريخ المعنى الشعري ، وأول من ابتدعه ، وكيف كان ، ممن أخذ ، ومن أي ميدان أُستمد ، وهذا كما رأيناه آنفا ، حيث يقول الشارح وهذا مأخوذ من قول فلان ، فلكل معنى ذاكرة وتاريخ أدبي ينمو ويتطور ، ويتسع ويضيق ، ويأخذ اتجاهاً معاكساً .

ثالثاً : شروح القصيدة :

1- ((نثر النظم وحل العقد))(أبو منصور للثعالبي :: 1300هـ) . وهو مطبوع طبعة حجرية .
والشارح :

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (زهر الآداب : 221 . ووفيات الأعيان : 3 : 376 . وسير أعلام النبلاء :17 : 438) . لم يخالف في ذلك أحد ، ولم يزد عليه (محمود عبد الله الجادر : 1976: 17) شاعر وكاتب وناقد ، ولد أبو منصور سنة (350 هـ) في نيسابور ، وقال فيه الذهبي : هو العلامة شيخ الأدب ، وكان رأسا في النظم والنثر (الذهبي : 17 : 438)وقد وصفه الباخرزي بقوله :((جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ،وكيف يُنكر وهو المُزن يُحمد بكل لسان ؟ أو يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان؟ وكنت وأنا فرخ أزغب ،في الاستضاءة بنوره أرغب ، وكان هو ووالدي لصيقي دار وقريبي جوار، وكم حملت كتبا تدور بينها في الإخوانيات وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات ، وما زال بي رؤوفا ، وعلي حانيا ، حتى ظننته أباً ثانياً ، رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج قاره))(الباخرزي : 2 : 226)

كان موسوعة عصره ، ضارب من كل علم بسهم وافر ، واسع الاطلاع ، ((لقد اغترف أبو منصور من روافد المعرفة في عصره ما شاء الله له ، ولم يقتصر في ذلك على علم بعينه ، فقد كان ينهل من كل مورد ، فإن طاب له علَّ بعد نهل ، وبالرغم من أنه كاد يختص بالأدب فإنه لم يقصر عن الخوض في علوم أخرى كالنقد والبلاغة واللغة والتاريخ والأخلاق ، فجاءت مؤلفاته منبئة عن ثقافات مختلفة ، حتى تكاد بمجموعها تكون موسوعة الثقافة القرن الرابع لا يستغني عنها عالم أو أديب)) (محمود عبد الله الجادر : 1976: 55)

وبدأ الثعالبي في سنة (384هـ) بكتابة أجل كتبه وأعظمها شهرة على الاطلاق ((يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)) ليقدمه لأحد الوزراء (محمود عبد الله الجادر : 1976: 33)

وطارت شهرة أبي منصور على أثر هذا التأليف ، فقد ترك أثراً عظيماً في نفوس الناس أحس له المؤلف بالزهو ، فأعاد تأليف الكتاب بعد ما يقرب من عشرين سنة (محمود عبد الله الجادر : 1976: 33) وقال في مقدمته : ((قضيت به حاجة في نفسي ، وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه والمنتسخين

يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غُدُره، وعدهم إياه من فرص العمر وغُرَره واهترازهم لزهره ، وافتقارهم لفقره (((يتيمة الدهر : 1 : 27)

ومما يدل على سعة علمه كثرة مؤلفاته ، وقد توسع في دراستها عبد الله الجادر وبيّن مطبوعها ومخطوطها وموضوعها (الثعالبي ناقدً وأديباً : 66 ؛ الصفدي (764 هـ) : 2000 : 19 : 130) ومنها : لباب الأدب ، الأمثال ، غرر البلاغة ، التجنيس ، لطائف المعارف ، فرائد القلائد ، سر الأدب ، فقه اللغة وسر العربية ، سحر البلاغة وسر البراعة ، التمثيل والمحاضرة ، الشكوى والعتاب ، وما وقع للخلان والأصحاب ، الإعجاز والإيجاز ، اللطائف والظرائف ، المنتحل ، أبي الطيب المتنبي وما له وما عليه ، أحسن ما سمعت ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، من غاب عنه المطرب ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة ، طبقات الملوك ، المتشابه ، خاص الخاص ، نثر النظم وحل العقد ، مكارم الأخلاق ، المبهج ، الكناية والتعريض ، المؤنس ، الوحيد ، برد الأكباد ، مرآة المروءة ، أحسن المحاسن ، يواقيت المواقيت . وتوفي سنة ثلاثين واربعمائة وقيل سنة تسع وعشرين(الصفدي , 19 : 130)

2 ـ شرح نونية البستي (عمر كحالة : 4 : 147 ؛ حاجي خليفة : 2 : 1336 ؛ جامع الشروح والحواشي : 3 : 540 ؛ فؤاد سزكين : 1991 ,ج 4 : 256)

ذو النون أحمد بن يوسف السرماري نزيل عينتاب المتوفى سنة (677 هـ) ، فقيه صوفي له شرح قصيدة البستي في المعارف والزهد (ينظر : حاجي خليفة : 2 : 1336)

ويعرف به ابن حجر العسقلاني (852 هـ) باختصار : ((ذو النون بن أحمد بن يوسف السرمارى نزيل عينتاب يعرف بالفقيه ، أخذ عن مشايخ أذربيجان وديار بكر وغيرهم ، وقدم عينتاب في حدود الستين وأقام بها يشغل الطلبة ، وشرح مقدمة : أبي الليث وقصيد البستي ، وتصدر بجامع النجار بجوار ميدان عينتاب ، وكان قائما بالأمر بالمعروف شديداً في ذلك إلى أن مات في رمضان)) (الحافظ ابن حجر : 1996 : 1 : 113)

3 ـ ((إعراب القصائد الثلاث وإيضاح غوامض الأبحاث)) (فؤاد سزكين: 1991 : ج 4 : 256 : عمر كحالة : 12 : 178) وهو مخطوط لم يحقق . والقصائد المشروحة فيه على الترتيب :(عنوان الحكم ، قصيدة عماد الدين الأصفهاني ، قصيدة الفرزدق في مدح الإمام السجاد).

والشارح:

هو حميد الدين أبو عبد الله محمود بن عمر النجاتي النيسابوري المتوفى سنة (728هـ) (هدية العارفين : 2 : 407 ـ 408 . الزركلي : 7 : 178)

4 ـ شرح النقره كار :

وجاء بتحقيقين مطبوعين: ((شرح قصيدة عنوان الحكم))(النيسابوري 776هـ) : 2018) . و((شرح نونية أبي الفتح البستي))(النيسابوري , مجلة الخزانة : العدد 10 : سنة 5 :2021) حققه مجموعة من الأساتذة : هالة أبو يزيد بسلطان محمد ، و محمد عثمان جعفر الحلنقي و إبراهيم عبد الواحد إبراهيم .

5 ـ (شرح القصيدة البليغة البستية) مخطوط وهو عملنا في أطروحة الدكتوراه .

الشارح :

عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم العمري الميلاني المتوفى نحو سنة 780 هـ ، وسنتحدث عنه بالتفصيل في مقدمة التحقيق .

6 ـ ((شرح قصيدة البستي)) مخطوط .

وهو شرح فارسي يبدأ بقول الشارح : ((چون فقير حقير مقصر بتقصير أصغر العباد جرما واكثرهم جرماً .

انكه نعت نبي ومدح ولي بعبارات واضحات وجلي
گويد از صدق نيت و اخلاص افقر خلق عادل بن علي

توجد نسخة منه في مكتبة التقوى بطهران تاريخ الكتابة سنة ٩٠٢هـ)) (الطهراني: 14 : 8 . ولم نجد هذا الشرح ، وبما أنه في اللغة الفارسية ، فهو خارج بحثنا الأكاديمي . وأما البيتان فالمعنى إجمالا

هذا وصف للنبي ومدح للإمام علي (عليه السلام) ، بعبارة صريحة جلية ، أقول بصدق النية والإخلاص أني أفقر خلق الله)

والشارح :

عادل بن علي الشيرازي(لم أجد له ترجمة في كتب التراجم العربية)

7 ـ ((شرح قصيدة عنوان الحكم المسمى النفحة الجودية والأزهار الوردية المنفتحة بمعاني المنظومة البستية)) وهو مطبوع محقق (عبد الله بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال: 2018)

والشارح :

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد سراج الدين باجمال الكندي(محمد بين عبد الله باذيب : 2009 ؛ 1 : 601) . الغُرفي الحضرمي المتوفى سنة 1033 هـ (محمد بن أبي بكر الشلي (1093هـ) : 2014 : 1 : 465) ولد الشيخ عبد الله باجمال في بلدة الغرفة بوادي حضرموت، وبها نشأ في حجر أبيه الفقيه الصالح (الشافعي ؛ 1 : 601)

8 ـ شرح البيتين الأولين من القصيدة (فؤاد سزكين : 1991 : ج 4 : 256) . معجم المؤلفين : عمر كحالة : 12 : 178 .

وهو مخطوط لم يطبع ، في مكتبة برلين برقم (7597) ، وحالة المخطوطة غير جيدة متآكلة بفعل العثة ، مكتوبة بلون مائل للبني ، والشرح واقع بين 283ب ، و287 أ في كل صحيفة 17 سطراً . عرض وطول الورقة ، 23 × 14.4 . وأما عرض وطول النص 14 ×85.

والشارح :

وقد ترجم الشارح لنفسه في كتابه (النور السافر عن أخبار القرن العاشر)(عبد القادر بن عبد الله العيدروس : 444) . هو محي الدين(إسماعيل باشا البغدادي : د ت 1: 600) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحَضْرَمي اليَمَني الهندي ، ولد بمدينة أحمد آباد من الهند عشية يوم الخميس لعشرين من شهر ربيع الأول سنة (٩٧٨) هـ (ينظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر : 444 . وينظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : للمُحِبّي : 2 : 440)

9 ـ ((البهجة السنية في شرح القصيدة البستية)) وهو محقق مطبوع(عطاء الله أحمد الأزهري المكي) الشارح :

هو عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله المصري الأزهري المكي المتوفى بعد سنة 1186 هـ (.ينظر : للزركلي : 4 : 236)

منهج شرح الثعالبي

في قصيدة عنوان الحكم للبستي

وأفردنا دراسة شرح الثعالبي لخصوصيته ، فهو أول شرح للقصيدة ،كذا له خصوصيته من حيث المنهج المتبع ، ومن حيث نوعية شرح ، فقولنا : شرح فيه شيء من التجوز ، إذ يتقاطع الشرح مع حل المنظوم ؛ فالثعالبي ما كان هدفه شرح القصيدة ، ولا في صدد شرح القصيدة ، ولا من اختياراته ، إنما كان هدفه حل النظم وهو مصطلح أدبي يشير إلى إمكانية صياغة المعنى الشعري صياغة نثرية ، وخليصه من قيد الوزن شعرية الشعر ، إذ عرف بأنه ((أخذ المعنى المنظوم من نص شعري ونثره ، أو أخذه من النص النثري ونظمه))(إبراهيم عبد الفتاح رمضان : مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية ؛ ع 36 ؛ 2021 ؛ 8)

عقد الثعالبي بابا في الأمثال تناول فيه حل عقد قصيدة أبي الفتح البستي ، فحلَّ كل بيت من القصيدة بعبارة مختصرة وكلمة وافية ، تجمع المعنى بإيجاز ، فيقول : ((قصيدة لأبي الفتح البستي وحل كل بيت منها على رسم المثل مكتوب تحته))(الثعالبي : 123) وهذه عملية التحويل من الشعر إلى النثر محسوبة بدقة ، فهي عملية تحويل الجنس الأدبي إلى جنس آخر ، من خلال تحول قوانين الجنس الأدبي نفسه ، فحل العقد يتم بين عمليتي الاختزال والتجريد .

فلا ينبغي النظر إلى هذا الشرح بوصفه مجرد تبسيط للمعنى ، بل بوصفه عملية تحويل نصي لها قواعد وآليات محددة ، فالشارح لا يفسر القصيدة تفسيراً لغويًا أو بلاغيًا ، وإنما يمارس نوعًا من إعادة إنتاج المعنى وفق مقصد تربوي وحِكَمي يلائم طبيعة النص الأصلي وطبيعة النص الناتج ، النص الأصلي

عند أبي الفتح البستي هو نص شعري يقوم على شعرية الجنس الأدبي ، يوجَّه إلى المتلقي بوصفه خطابًا أدبياً .

أما النص الناتج العبارات المكتوبة تحت الأبيات فهو نص نثري قصير ومكثف يركز على النتيجة الأخلاقية يقدَّم بوصفه حكمة أو مثلًا إذاً نحن أمام انتقال من خطاب شعري إلى خطاب مثلي حكمي . وقد قيد الثعالبي نفسه في عملية التحويل وإعادة الإنتاج بقول : ((على رسم المثل)) (الثعالبي : 123) .فهو ينتهج الثعالبي منهجًا تأويليًا اختزاليًا يقوم على استخراج النواة الدلالية للبيت ثم إعادة بنائها في صورة مثل سائر ، فهو ليس مجرد حل .كقول البستي(الثعالبي : 123)

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ فطالَما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

فيقول الثعالبي : ((الإحسان يستعبد الإنسان)) (الثعالبي : 123) .

وقول البستي (الثعالبي : 124)

مَنْ سالَمَ النّاسَ يسلَمْ من غوائِلِهِمْ وعاشَ وَهْوَ قَريرُ العَينِ جَذْلانُ

فيختصر الثعالبي البي إلى ((من سالم الناس سلم)) (الثعالبي : 124)

وقول البستي (الثعالبي : 125)

مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحصُدْ في عواقِبِهِ نَدامَةً ولِحَصدِ الزَّرْعِ إبّانُ

فيرسم المثل بقوله : ((من زرع الشر حصد الندامة)) (الثعالبي : 125)

حلَّ الثعالبي هذه الأبيات ، وخلصها من قوانين الشعر ، أولها الوزن والقافية ، حاذفا حشو البيت من الظروف والقيود ، فحذف من البيت الأول جملتين فعليتين " احسن إلى الناس " و " تستعبد قلوبهم " وهما بمنزلة التعليل ، وحول الجملة الفعلية الثالثة ((استعبد الانسان إحسان)) إلى جملة إسمية . وكذا عمل في البيت الثاني فقد اكتفى بالشرط وجوابه فقال : ((من سالم الناس سلم)) ، إذ هما بؤرة المعنى ، وحذف الجار والمجرور " من غوائلهم " لأن السلامة تكون من الغوائل لا محالة . وحذف الحال " وعاش وهو قرير العين جذلان " لأنها نتيجة محتمة .

وكذا في البيت الثالث فقد اكتفى الثعالبي بالشرط والجزاء ، حاذفا القيد والحال ، ثم مسك بالنواة المركزية من المعنى ، لينتج الثعالبي أمثالاً سائرةً مشتقة من ألفاظ الأبيات نفسها ، فقال : ((الإحسان

يستعبد الإنسان)) و((من سالم الناس سلم)) و((من زرع الشر حصد الندامة)) ، وهذه عملية التحويل تقتضي إدراكا لكنه الجنس الجديد وقوانينه ، فشعرية المثل قائمة على الاختزال واللغة المكثفة ، وإيجاز المعنى . ويمكن إجمال العمليات المنهجية المستعملة في حل العقد إلى الاختزال والتحويل في آن واحد .

فيحذف كل ما لا يخدم الفكرة المركزية ، فيقوم الثعالبي بتفكيك البنية الشعرية الأصلية، فبيت أبي الفتح البستي يحمل عادة طبقات متعددة طبقة لفظية موسيقية، وطبقة بلاغية قائمة على الصور والمقابلات ، وطبقة دلالية تمثل الحكمة الأساسية ، ثم طبقة إيحائية أوسع تتجاوز المعنى المباشر.

يتم عزل الطبقة الدلالية المركزية فقط ، أي الفكرة العامة التي يريدها البيت دون النظر إلى طريقة صياغتها الشعرية ، وهذا ما يفسر اختزال بيت كامل إلى جملة قصيرة جدًا ، تُحذف العناصر الزخرفية ، والتقديم والتأخير أحيانا ، والقيود والحشو ، التي خدمت الوزن . يتم حذف التعليل والتفصيل والاكتفاء بالنتيجة النهائية ، لأن هذه العناصر تُعد قالبًا فنيًا لا مضمونًا معرفيًا في منظور الشارح .

ففي قول الشاعر (الثعالبي : 127)

يا رافِلاً في الشَّبابِ الوَحْفِ مُنتشِياً مِنْ كأسِهِ هلْ أصابَ الرُّشْدَ نَشْوانُ

يقرر الثعالبي بقوله : ((سكر الشباب كسكر الشراب)) (الثعالبي : 127يشبه اندفاع الشباب بحالة السكر، فاختُزل المعنى في عبارة " سكر الشباب " . لم يبقي الثعالبي من البيت شيء سوى البؤرة الدلالية ، وهي بنية مجازية عميقة ، لكنه استل من بلاغة البيت شيئا في عبارته ، فأخذ التشبيه من الاستعارة ، فتحول إلى حكمة تحذر من الاغترار بالقوة والحماس ، ثم تجرد إلى فكرة عامة تؤكد ضرورة اقتران القوة بالحكمة ، أما قول البستي (الثعالبي : 127)

لا تَغرِرْ بشَبابٍ رائقٍ خضل فكَم تَقدَّمَ قَبَل الشّيْبِ شُبّانُ

فيحذر من الثقة المطلقة بالشباب، فاختُزل المعنى في النهي عن الاغترار بالشباب، وتحول إلى مثل يؤكد أن الشيخ قد يحمل جنازة الطفل ، لا نجد ضرورة في إيراد جملة النهي في البيت ، ويكتفي بعجز البيت ، وربما وجد الثعالبي أن البيت به أكثر من معنى وعليه لا بد من تعدد العبارات بتعدد المعاني، ثم تجرد

إلى حقيقة إنسانية مفادها أن الأعمار بيد الله وأن الموت لا يرتبط بسن معينة فيقول : ((لا تغتر بالشباب فقد يحمل الشيخ الكبير جنازة الطفل الصغير)) (الثعالبي : 127)

وهكذا تكشف الأبيات عن مسار دلالي يبدأ بصورة شعرية جزئية، ثم يمر بمرحلتي الاختزال والتحويل إلى مثل سائر، لينتهي بالتجريد واستخلاص الحكمة الإنسانية العامة، وهو ما يجعل هذه الأبيات قريبة من الأمثال والحكم المتداولة في الثقافة العربية .

ينتقل الشارح من الحالة الجزئية إلى القاعدة العامة يتم الانتقال من الجزئي إلى الكلي، أي من موقف شعري محدد إلى قاعدة عامة تصلح أن تكون مثلًا سائراً ، يحولها إلى قاعدة اجتماعية عامة . وتحويل الحكمة إلى صيغة مثل يتم عبر فهم عميق لبنية شعرية النوع الجديد ، فيكون السجع أول متطلبات التحويل ، بعدها يتم صياغة المثل بجملة أسمية ، بشكل مختزل مكثف ، فإعادة صياغة المعنى في شكل مثل مستقل قابل للحفظ والتداول ، وهذا هو جوهر مفهوم تحويل الشعر إلى أمثال :

قول البستي:(الثعالبي : 126

وذو القَناعَةِ راضٍ من مَعيشَتِهِ وصاحبُ الحِرْصِ إن أثرى فَغَضبْانُ

((القنوع راض وإن افتقر ، والحريص غضبان وإن أيسر)) (الثعالبي : 126

وقول البستي (الثعالبي : 124

وكُنْ على الدَّهر مِعواناً لذي أمَلٍ يَرجو نَداكَ فإنَّ الحُرَّ مِعْوانُ

((أعن الإخوان ، فالحر معوان على الزمان)) (الثعالبي : 124

الثعالبي هنا يجرد البيت من الظروف سواء زمانية ، أو مكانية ، أو مقيدة بمخاطب ، أو مقصورة على فئة ، أو نخبوية ، لتبقى الحكمة والمعنى والدرس التربوي هو الوحيد ، من دون سائر الأشياء ؛ ذلك لأن المثل هو كلمة نتجت من حادثة لكنها تصلح لكل ظرف مشابه ، هذا ما يجعل الثعالبي يعمد إلى التجريد أولا .

ويجرد الثعالبي أحيانا فكرتين من البيت إذا كان البيت يحمل معنيين مركزيين ، فينتج لنا مثلين بعبارتين حرصا على التكثيف والإيجاز البلاغي ، ولا يفوته السجع بين العبارتين من ذلك :

وقوله (الثعالبي : 125

صُنْ حُرَّ وَجهِكَ لا تَهتِكْ غِلالتهُ فكُل حُرٍّ لِحُرِّ الوَجهِ صَوّانُ

فيقول الثعالبي عبارته ((الحر من صان حر وجهه)) (الثعالبي : 125

وقول البستي (الثعالبي : 126

لا تُودِعِ السِرَّ وَشَّاءً مذلا فما رعى غَنَماً في الدَّوِّ سِرْحانُ

((لا تودع السر الوشاء ، كما لا تستحفظ الذئب الشاء)) (الثعالبي : 126 . فبتعدد المعاني تتعدد العبارات ، ويرسمها على حذو المثل ، فيوردها مسجوعة ، موزونة ، بحسن تقسيمها ، وبذلك يغدو التحويل اشتغال بلاغي على المعنى الشعري ، ثم إعادة إنتاجه في بنية جديدة يقينية ، بعد أن كان بنية احتمالية مفتوحة على التأويل ، وبهذا فالثعالبي يشتغل ضمن قيود دقيقة جداً ، نقل المعنى ، مراعاة تعدد المعاني ، صياغة العبارة وفق شعرية المثل . كما في قوله:(الثعالبي : 126

ما كُلُّ ماءٍ كصَدّاءٍ لوارِدِه نَعَمْ ولا كُلُّ نَبْتٍ فهو سَعْدانُ

((ما كل سقف سما ، ولا كل ماء صدا ، ولا كل قضيب خيزران ، ولا كل نبت سعدان)) (الثعالبي : 126

ويحاول استثمار المثل الوارد في الأبيات ليؤكد المعنى ويقرره ، فيشتق المعنى من البيت والمثل ، فتكون لديه مرجعيتان في صياغة عبارته ، ينسجمان في الإبداع الفني الجديد .

ففي البيت:(الثعالبي : 127

إذا نَبا بكريمٍ موطِنٌ فلَهُ وراءهُ في بسيط الأرض أوطانُ

يعبر الشاعر عن أن الكريم لا يضيق بفقدان وطنه ، لأن أخلاقه تمكنه من الاندماج في أي مكان . وقد اختُزل هذا المعنى في القول: ((الأرض أوطان والناس إخوان)) (الثعالبي : 127، وتحول البيت إلى مثل سائر وحكمة عامة ، ثم تجرد إلى فكرة إنسانية مفادها أن الانتماء الحقيقي للأخلاق والقيم لا للمكان وحده .

وفي قوله (:(الثعالبي : 127

يا ظالما فرحا بالعزِّ ساعَدَه إن كنت في سنة فالدهر يقظانُ

يحذر الشاعر الظالم من الاغترار بقوته المؤقتة ، فاختزل الثعالبي معنى البيت في عبارة ((الدهر يقظان)) (الثعالبي : 127) ، وتحول إلى مثل يفيد أن الظلم لا يدوم ، فكانت جملة خبرية مختزلة مكثفة ، ثم تجرد إلى قانون عام يؤكد أن العدالة تنتصر في النهاية وأن كل ظلم إلى زوال .

يقوم الثعالبي بشرح أبيات أبي الفتح البستي على منهج حلّ العقد ، وذلك عبر تفكيك البنية الشعرية واستخراج مركزها الدلالي ثم إعادة صياغته في عبارات موجزة ، ذات طابع مثلي وحكمي . ويعتمد هذا المنهج على عمليات التجريد والاختزال والتعميم ، مع إقصاء العناصر الجمالية والبلاغية لصالح إبراز الرسالة الأخلاقية والتربوية الكامنة في النص ، ومن ثم فإن الشارح لا يفسر الأبيات تفسيرًا لغويًا أو بلاغيًا، بل يحولها من خطاب شعري إلى أمثال وحكم مستقلة قابلة للتداول والحفظ . هذا التحليل يضع النص ضمن تقاليد حل المنظوم واستخراج الأمثال في التراث الأدبي والبلاغي، لا ضمن الشروح اللغوية التقليدية .

التحليل المنهجي الأعمق لهذا النص يقوم على فهمه بوصفه عملية حلّ عقد لا مجرد شرح ، أي تحويل البنية الشعرية المركبة إلى بنية نثرية حكَمية مختزلة، وهذه العملية لها قواعد ثابتة يمكن تتبعها في كل الأبيات.

الخاتمة :

الشعر الحكمي لم يكن غرضا شعريا إلا في العصر العباسي، وقد نضج على أيدي شعراء تخصصوا في هذا النظم أمثال صالح بن عبد القدوس وأبي العتاهية ومحمود الوراق وغيرهم، وانبثق من شعر الزهد، والحكمة هي قول شعري سديد أو رأي حصيف يتمخض عن طول تجربة.

فقضية الصراع بين القديم والمحدث أثارت جدلاً بين الدارسين القدماء كان له آثار طيبة في شرح الشعر القديم، فصارت كل مدرسة ترفع شعراءها ليمهدوا الطريقة ويسهلوه للشاعر الجديد، وهذه هي الرؤية التي كانت من وراء عموم الشروح.

والشرح هو محاذاة النص محاذاةً مزيلة لصعوباته، كاشفة عن معناه، فالشرح تبسيط للمشروح، دون زيادة أو نقصان مخلين، فالشرح هو الوقوف على المعنى. ومن آليات الشرح الترتيب والتعليق

والتحليل والوصف والمقارنة والنقد، فكلها من آليات الشرح، فالشارح الماهر من عرف مقدار ما يأخذ منها، ويجعلها في خدمة المشروح، ويقتضي تشرّب الشارح للنص، فيحف جوانب المعنى بالبيان دون أن يفقد النص شيئا من بلاغته ودقة معناه، وصورته الشعرية، وعمقه الدلالي، فيفتح مغاليقه مع حفاظه على روح النص وما يبثه من وحدة مشاعر. فيكون المشروح إعادة أفكار النص بأسلوب مغاير

.

أما شرح الثعالبي فلا ينبغي النظر إليه بوصفه مجرد تبسيط للمعنى، بل بوصفه عملية تحويل نصي لها قواعد وآليات محددة، فالشارح لا يفسر القصيدة تفسيرًا لغويًا أو بلاغيًا، وإنما يمارس نوعًا من إعادة إنتاج المعنى وفق مقصد تربوي وحِكَمي يلائم طبيعة النص الأصلي وطبيعة النص الناتج، وهذه عملية التحويل من الشعر إلى النثر محسوبة بدقة، فهي عملية تحويل الجنس الأدبي إلى جنس آخر، من خلال تحول قوانين الجنس الأدبي نفسه، فحل العقد يتم بين عمليتي الاختزال والتجريد. إذ قيد الثعالبي نفسه في عملية التحويل وإعادة الإنتاج تكون على رسم المثل؛ فينتهج الثعالبي منهجًا تأويليًا اختزاليًا يقوم على استخراج النواة الدلالية للبيت ثم إعادة بنائها في صورة مثل سائر، فهو ليس مجرد حل.

المصادر والمراجع :

- حسن البنداري ا 1989تجاهات نقد الشعر العربي في الموروث النقدي حتى نهاية القرن الخامس الهجري :: مكتبة الأنجلو المصرية .
- الحافظ ابن حجر العسقلاني 1996 : إنباء الغُمر بأنباء العُمر :: تح : حسن حبشي : القاهرة.
- خير الدين الزركلي الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين :: دار العلم للملايين : ط15 بيروت .
- البهجة السينية في شرح القصيدة البستية شرح للقصيدة المسماة بعنوان الحكم ؛ عطاء الله أحمد الأزهري المكي : تحقيق أنس عزت آغا : ط1 : دار الفاتح : تركيا .
- : فؤاد سزكين 1991 . تاريخ التراث العربي: تر : عرفة مصطفى : جامعة محمد بن مسعود الإسلامية :
- محمود عبد الله الجادر 1976: الثعالبي ناقدً وأديباً : دار الرسالة ؛ بغداد : ط1 ؛
- إبراهيم عبد الفتاح رمضان 2021.: حل المنظوم في التراث الأدبي العربي نثر النظم وحل العقد للثعالبي نموذجا : مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية ؛ ع 36 ؛
- للمحبي : د.ت . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر :
- عبد الله محمد الحبشي 2017: جامع الحواشي والشروح معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها : دار المنهاج : ط1 ؛ ؛ بيروت .
- محمد بين عبد الله باذيب 2009جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي :: دار الفتح ؛ ط1 ؛ الأردن ؛.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري 1355 هـ: تصحيح وضبط : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري : مطبعة مصطفى الحلبي : مصر..

- ديون علقمة الفحل : 1970. شرح الأعلم الشمنتري : تح : محمد سعيد مولوي
- : للباخرزي : 1414 هـ. دمية القصر وعصرة أهل العصر تح : محمد التوبجي : دار الجيل : بيروت : ط1 :
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة : الشيخ آقا بزرك الطهراني : دار الأضواء : ط2 : بيروت .
- سير أعلام النبلاء : شمس الدين الذهبي (742 هـ) : تح : شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي : مؤسسة الرسالة : ط11 ؛ 1969 : بيروت .
- شرح الشعر القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري : د. شيماء خيري : دار الرائي ط1 : 2010 : دمشق .
- شرح الواحدي لديوان المتنبي : 1999ضبط ؛ ياسين الأيوبي ، قصي الحسين: دار الرائد العربي : ط1 : ؛ بيروت .
- عبد الله بن محمد الحسيني النيسابوري (النقره كار 776هـ) 2018: شرح قصيدة عنوان الحكم : تح : يوسف خلف العيساوي : دار الفتح : ط1 :.
- عبد الله بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال 2018: شرح قصيدة عنوان الحكم المسمى النفحة الجودية والأزهار الوردية المنفتحة بمعاني المنظومة البستية : تح : محمد أبو بكر عبد الله باذيب : دار الفتح ؛ ط1 : الأردن :
- عبد الله بن محمد الحسيني النيسابوري (النقره كار) 2021 .: شرح نونية أبي الفتح البستي : تح : هالة أبو يزيد بسطان محمد و محمد عثمان الحلنقي وإبراهيم عبد الواحد إبراهيم: مجلة الخزانة : العدد 10 : سنة 5 : العتبة العباسية المقدسة العراق :
- ابن الصلاح : تح : محي الدين نجيب : 1413 هـ طبقات الفقهاء الشافعية : دار البشائر الإسلامية: بيروت .

- : محمد بن أبي بكر الشلي (1093هـ) 2014عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر: تح : عبد الرحمن سليمان المزيني وراشد بن سعد القحطاني : تحقيق التراث ؛ ط1 ؛ الرياض.
- الفسر : لابن جني (392هـ) : تح : صفاء خلوصي : مطبعة الشعب : 1978 : بغداد :
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة :.
- د. مزاحم مطر حسين 2010: المنهج البلاغي في قراءة النص الشعري (شروح الدواوين العباسية أنموذجا) : دار الينابيع : ط1 :.
- أبو منصور للثعالبي: 1300هـ نثر النظم وحل العقد :: مطبعة المعارف : دمشق :.
- عبد القادر بن عبد الله العيدروس (978هـ): 2001 ؛ النور السافر عن أخبار القرن العاشر تح : أحمد حالو ومحمد الأرناؤوط ، وأكرم البوشي ؛ دار الصادر ؛ بيروت ؛ ط1 :.
- : إسماعيل باشا البغدادي : د. ت.هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين مؤسسة التاريخ العربي :
- صلاح الدين الصفدي (764 هـ) 2000 .: الوافي بالوفيات : تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ؛ دار إحياء التراث العربي : بيروت : ط1 :